

قصة إبراهيم عليه السلام

ولَدَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَشَأَ وَتَرَعَّرَ بَيْنَ قَوْمٍ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ. وَلَمَّا كَبَرَ، أَتَاهُ اللَّهُ الرُّشْدَ وَالْحِكْمَةَ، وَهَدَاهُ إِلَى الْحَقِّ؛ فَعَرَفَ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ قَدْ خَلَقَ الْكَوْنَ كُلَّهُ، وَأَذْرَكَ أَنَّ الْأَصْنَامَ الَّتِي يَعْبُدُهَا قَوْمُهُ لَا تُقْيِدُ؛ فَهِيَ حِجَارَةُ حَرْسَاءٍ، لَا تَتَكَلَّمُ، وَعَمْيَاءٌ لَا تَرَى، وَصَمَاءٌ لَا تَسْمَعُ، فَكَيْفَ يَعْبُدُهَا؟ هُوَ يَمْلِكُ الْعُقْلَ وَالْبَصَرَ وَالسَّمْعَ وَاللِّسَانَ، وَهِيَ لَا تَمْلِكُ شَيْئًا. وَاحْتَارَهُ اللَّهُ لِنَشْرِ الدِّينِ الصَّحِيحِ، وَجَعَلَهُ رَسُولًا يَدْعُو قَوْمَهُ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى اللَّهِ.

الدُّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ

هَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ، يَذْهَبُ لِيُبَلَّغَ وَيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ، أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الرَّبُّ، وَهُوَ الْإِلَهُ، وَهُوَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَعْبُدَ وَحْدَهُ، وَأَنْ تُتَرَكَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ كُلُّهَا، لِأَنَّهَا لَا تَمْلِكُ نَفْعًا وَلَا ضَرًا.

دَعْوَتُهُ لِأَبِيهِ

ذَهَبَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى أَبِيهِ، وَحَدَّثَهُ بِكَلامٍ جَمِيلٍ، وَقَالَ لَهُ: يَا أَبَتِ.. أَنَا ابْنُكَ، وَقَدْ جَعَلْنِي رَبِّي رَسُولاً، وَأَعْطَانِي مِنِ الْعِلْمِ وَالْمَغْرِفَةِ شَيْئًا كَثِيرًا. وَهَذِهِ الْأَصْنَامُ لَا تُقْيِدُنَا، وَمَنْ عَبَدَهَا فَإِنَّمَا يَعْبُدُ الشَّيْطَانَ، وَسَيَتَّهِي بِهِ الْأَمْرُ إِلَى الْعَذَابِ الشَّدِيدِ، وَالْعِقَابِ الْأَلِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَارْجِعْ يَا أَبَتِ عَنْ هَذِهِ الْأَوْثَانِ، وَلَا تَعْبُدْ إِلَّا اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمَيْنَ.

غَضَبُ وَحْلُمٌ

وَلَمَّا عَرَضَ إِبْرَاهِيمُ هَذِهِ الدُّعْوَةَ عَلَى وَالِدِهِ، غَضِبَ وَأَبَى أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَهُ، وَقَالَ لَهُ مُحْتَاجًا: ﴿أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ أَيْ: أَتُرِيدُ تَرْكَ عِبَادَتِي؟ لَئِنْ لَمْ تَرْجِعْ إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ؛ لَا قُتْنَاكَ، فَاهْجُرْنِي، وَابْتَعدْ عَنِّي، وَاحْذَرْ سَخَطِي وَغَضَبِي. وَلَمْ يَكُنْ مِنْ إِبْرَاهِيمَ، إِلَّا أَنْ قَاتَلَ تَهْدِيَ وَالِدِهِ بِنَفْسِ مُطْمَئِنَّةٍ. وَأَجَابَهُ: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَائِسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيَّاً﴾ * وَأَعْتَرَلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَوَدَّعَهُ وَانْصَرَفَ، وَهُوَ حَزِينٌ عَلَى كُفْرِ أَبِيهِ. وَعَادَ إِلَى قَوْمِهِ بَعْدَ أَنْ تَرَكَ أَبَاهُ، وَتَابَعَ دَعْوَتَهُ إِلَى الْحَقِّ بِصَبْرٍ وَحِلْمٍ.

تَحْطِيمُ الْأَصْنَامِ

أَرَادَ إِبْرَاهِيمُ أَنْ يُرِيَ الْكُفَّارَ بِأَعْيُنِهِمْ، أَنَّ الْأَصْنَامَ لَا تَتَنَعُّ، فَذَهَبَ إِلَى مَكَانٍ عِبَادَتِهِمُ الَّذِي يَحْوِي الْأَصْنَامَ، - وَكَانَ الْمَعْبُدُ خَالِيًّا مِنَ النَّاسِ - وَأَخْدَأَ أَوَّلَ الْأَمْرِ يَسْخَرُ مِنَ الْأَصْنَامِ قَائِلًا: ﴿أَلَا

تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿١﴾ ثُمَّ حَمَلَ قَاسِاً، وَبَدَا يَضْرِبُ الْأَصْنَامَ يَمْنَةً وَيَسْتَرَةً. وَحَطَمَهَا إِلَّا وَاحِدًا، عَلَقَ بِرَأْسِهِ الْفَاسِ، ثُمَّ حَرَّجَ. وَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ الْمَعْبَدَ، وَرَأَوْا هَذَا، قَالُوا: «مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتَنَا؟» وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «سَمِعْنَا فَتَى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ» !!. لَقَدْ عَرَفُنَا، إِذْنْ. هَلُمُوا إِلَيْهِ، لِتُعَاقِبَهُ عَلَى ذَنْبِهِ الْكَبِيرِ.

اغتنام الفرصة

وَأَتَوْا بِإِبْرَاهِيمَ، وَجَمَعُوا النَّاسَ. وَإِنَّهَا لَمَنْاسَبَةُ جَيْدَةٌ، فَرَحَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لَأَنَّهُ يَسْتَطِيعُ الآنَ دَعْوَةَ النَّاسِ الْمُجَتمِعِينَ. وَبَعْدَ أَنْ شَاهَدُوا سَخَافَةَ مَا يَعْبُدُونَ!، بَدَا السُّؤَالُ وَالْمَحَاكِمَةُ. «قَالُوا أَنَّتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَأَسْأَلُوكُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ؟! وَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ قَالُوا: «لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هُوَلَاءِ يَنْطِقُونَ» وَهُنَا أَثْبَتُوا فَشَلَهُمْ وَعَجَزَهُمْ عَنْ نُكْرَانِ الْحَقِيقَةِ. لَقَدْ اغْتَرَفُوا أَنَّ الْحِجَارَةَ لَا تَنْطِقُ، وَلَا تَسْتَطِيعُ عَمَلَ أَيِّ شَيْءٍ.

هذه طريقي

وَعِنْهَا نَطَقَ إِبْرَاهِيمُ «قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَفْعُلُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَسْرُكُمْ * أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقُلُونَ؟! إِنَّهُمْ لَا يُفَكِّرُونَ وَلَا يَعْقِلُونَ.. وَلَقَدْ بَيْنَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- دَعْوَتُهُ، وَأَنَّهُ يَجُبُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَيَعْبُدَ اللَّهَ، وَلَا يَدْعُو إِلَّا اللَّهَ.. وَلَكِنْ لَمْ تَنْتَفِعْ قُلُوبُ الْقَوْمِ، بَلْ خَافُوا عَلَى مَكَانِتِهِمْ «قَالُوا حَرَّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ»، لَقَدْ قَرَرُوا أَخِيرًا، أَنْ يُلْقِوْا إِبْرَاهِيمَ إِلَى النَّارِ؛ لِكَيْ يَمُوتَ، وَذَبْهُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَحْدَهُ.

النَّارُ لَا تُؤْدِيهِ

وَأَلْقَوْا إِبْرَاهِيمَ فِي النَّارِ بَعْدَ إِشْعَالِهَا، لَكِنَّهُ لَمْ يَحْفَ؛ لِأَنَّهُ قَوِيُّ الْإِيمَانِ وَسَيِّقَذُهُ اللَّهُ.. وَهَا هُوَ الْأَمْرُ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ «قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ» وَتَنْطَفِئُ النَّارُ دُونَ أَنْ تُؤْدِي إِبْرَاهِيمَ! وَيَتَعَجَّبُ النَّاسُ !! وَيَخْجَلُونَ مِنْ مَوْقِفِهِمُ الْمُخْرِيِّ، وَصَدَقَ اللَّهُ «وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ».

مَعَ النَّمْرُوذِ

وَسَمِعَ الْمَلِكُ بِهِ، وَطَلَبَهُ إِلَى قَصْرِهِ، وَسَأَلَهُ: مَنْ هَذَا إِلَهٌ الَّذِي تَدْعُونَا إِلَيْهِ؟ أَهْناكَ رَبُّ غَيْرِي؟ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: «رَبِّي الَّذِي يُحِيِّي وَيُمِيتُ» فَقَالَ النَّمْرُوذُ: «أَنَا أَحْيِي وَأَمِيتُ» أَيْ: أَفْتُلُ مِنْ أَشَاءُ، وَأَغْفُو عَمَّنْ أَشَاءُ. وَهُنَا يَبْرُزُ ذَكَاءُ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَهَا هُوَ ذَا يَسْأَلُ النَّمْرُوذَ سُؤَالًا صَعِبًا، يَكْشِفُ بِهِ - أَمَامَ النَّاسِ - كَذَبَ النَّمْرُوذِ. فَيَقُولُ لَهُ: «إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنْ الْمَشْرِقِ فَأَتَ بِهَا مِنْ الْمَغْرِبِ» أَيْ: مَنْ يُحِيِّي وَيُمِيتُ يَقْدِرُ عَلَى مَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ، وَحْتَمًا لَا يَسْتَطِيعُ النَّمْرُوذُ. وَنِظامُ

الشّمْس ثابتٌ بِيَدِ اللَّهِ وَحْدَهُ. وَهُنَا ظَاهِرًا كَذِبُ الْمَلِكِ، وَخَافَ، وَأَمَرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَتَرَكَ الْبِلَادَ إِلَى بَلَادٍ أُخْرَى بَعِيدَةٍ.

يَعْبُدُونَ النُّجُومَ

وَتَوَقَّفَ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عِنْدَ قَوْمٍ يَعْبُدُونَ النُّجُومَ، وَاحَبَّ أَنْ يَتَبَعَ مَعَهُمْ أُسْلُوبَ الْمُنَاقَشَةِ وَالْحِوَارِ، لِكَيْ يَتَرَكُوا عِبَادَةَ النُّجُومِ، فَصَعِدَ مَكَانًا مُرْتَفِعًا . (وَالنَّاسُ يَرَوْنَهُ)، وَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَرَأَى كَوْكَبًا فَصَرَخَ فَنَادَى: هَذَا رَبِّي.. إِنَّهُ جَمِيلٌ. وَأَبْدَى إِبْرَاهِيمَ فَرْحَةً أَمَامَ الْكُفَّارِ .. وَبَعْدَ قَلِيلٍ .. احْتَفَى الْكَوْكَبُ، فَأَبْدَى حُزْنَهُ وَقَالَ: لَقَدْ احْتَفَى إِلَهٌ. إِذْنٌ لِيَسَ الْكَوْكَبُ إِلَهٌ، فَإِلَهٌ لَا يَغِيبُ .. وَفَتَّشَ عَنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ . وَلَفَتَ نَظَرَهُ حَجْمُ الْقَمَرِ، إِنَّهُ أَجْمَلُ وَأَكْبَرُ . وَنَادَى مِنْ جَدِيدٍ: هَا هُوَ ذَا رَبِّي .. إِنَّهُ أَكْبَرُ وَأَجْمَلُ، وَهَذَا لَنْ يَحْتَفِي . وَلَكِنَّ الْقَمَرَ لَمْ يَسْمَعْ كَلَامَ إِبْرَاهِيمَ، وَغَابَ فِي الصَّبَاحِ . وَأَظْهَرَ إِبْرَاهِيمُ حُزْنَهُ مِنْ جَدِيدٍ، وَخَرَجَتِ الشَّمْسُ تَسْطُعُ صَبَاحًا، فَقَالَ: إِنَّهَا أَكْبَرُ مِنَ الْقَمَرِ، وَهَذِهِ لَنْ تَغِيبَ مِثْلَ الْكَوْكَبِ وَالْقَمَرِ، وَانْتَظَرْ حَتَّى الْمَسَاءِ، لِكِنَّهَا غَابَتْ .

وَعِنْدَهَا بَيْنَ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِلنَّاسِ الْحَقِيقَةَ، وَقَالَ: (الْكَوْكَبُ غَابَ وَاحْتَفَى، وَالْقَمَرُ دَهَبَ وَلَمْ يَعُدْ، وَالشَّمْسُ رَحَلَ نُورُهَا الْآنَ . إِذْنٌ فَمَنِ إِلَهُ الْحَقِيقَيْ؟ إِنَّهُ اللَّهُ، إِنَّهُ خَالِقُ الْكَوْكَبِ وَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ وَخَالِقُ الْكَوْنِ كُلُّهُ) وَفَرَحَ وَصَرَخَ، وَصَاحَ: لَقَدْ عَرَفْتُ يَا رَبِّيَا، أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ . أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَأَنْتَ لَا تَغِيبُ أَبَدًا، وَأَنْتَ مَعِي، لَأَنَّنِي مُؤْمِنٌ، وَأَنْتَ تُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ).

هِجْرَةُ إِبْرَاهِيمَ إِلَى مَكَّةَ

تَرَكَ إِبْرَاهِيمُ بِلَادَهُ، وَسَارَ مَعَ زَوْجِهِ هَاجِرَ، وَوَلَدَهُ الصَّغِيرِ إِسْمَاعِيلَ إِلَى مَكَّةَ، التَّيْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَاءٌ وَلَا زَرْعٌ وَلَا شَجَرٌ، وَهُنَاكَ تَرَكَ أُسْرَتَهُ الصَّغِيرَةَ، وَرَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ الْأَوَّلِ، الَّذِي جَاءَ مِنْهُ . وَنَفِدَ طَعَامُ الْأُسْرَةِ، وَبَكَى الصَّغِيرُ مِنَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ، فَأَخَدَتْ وَالِدَتُهُ تَرْكُضُ هُنَا وَهُنَاكَ، تَبَحُثُ عَنْ نَبْعَ مَاءٍ . وَعِنْدَمَا عَادَتْ إِلَى طَفْلِهَا، وَجَدَتْهُ يَضْرِبُ الْأَرْضَ بِرْجُلِيَّهِ الصَّغِيرَتِينِ، ثُمَّ رَأَتِ الْمَاءَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصَّخْرِ وَالْحِجَارَةِ، ثُمَّ سَالَ الْمَاءُ غَيْرًا، فَسَقَتِ الْأُمُّ طِلْفَهَا وَشَرِبَتْ . وَاجْتَمَعَ النَّاسُ حَوْلَ ذَلِكَ الْمَاءِ (بِيَرِ زَمْزَمَ) وَقَرَرُوا أَنْ يَعِيشُوا عِنْدَ ذَلِكَ الْمَكَانِ .

وَرَجَعَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَ مُدَّةٍ إِلَى أُسْرَتِهِ الصَّغِيرَةِ . وَفِي ذَلِكَ الْمَكَانِ الَّذِي نَبَغَ فِيهِ الْمَاءُ، أَمَرَهُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَنْ يَقُومَ بِبَنَاءِ الْكَعْبَةِ مَعَ أَبْنِهِ إِسْمَاعِيلَ، فَرَفَعَا قَوَاعِدَ أَوَّلَ بَيْتٍ عَبَدَ النَّاسُ فِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنْ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

الْوَحْدَةُ

السادسةُ

كيف تختار مهنتك

القراءة المكثفة

الاسم الممدود

القواعد (أ)

كيف يحب أطفالنا القراءة

فهم المسموع (القسم الأول)

كيف يحب الأطفال القراءة

فهم المسموع (القسم الثاني)

جزم المضارع في جواب الطلب

القواعد (ب)

بِلَالُ بْنُ رَيَاحٍ مُؤَذِّنُ رَسُولِ اللَّهِ

القراءة الموسعة